***زيادة الصفات على الذات***

***بحث فى : توحيد الصفات***

*إعداد /* فاطمة السيد العشري

*قسم الدعوة وأصول الدين*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم - ماليزيا*

*fatma.alsayed@mediu.ws*

**خلاصة هذا البحث فى : بيان زيادة الصفات على الذات**

**الكلمات الافتتاحيه : الصفه، اصطلاح، العظمه**

* **.*المقدمة***

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة بيان زيادة الصفات على الذات**

* ***. موضوع المقالة***

والصفة في اصطلاح المتكلمين حال وراء الذات، أو ما قام بالذات من المعاني والنعوت وهي في حق الله تعالى نعوت الجلال والجمال والعظمة والكمال، كالقدرة والإرادة والعلم والحكمة.

والصفة غير الذات وزائدة عليها من حيث مفهومها وتصورها، بيد أنها لا تنفك عن الذات، إذ لا نتصور في الخارج ذاتًا مجردة عن الصفات، هذا وإن صفات الله تعالى توقيفية فلا مجال فيها للاجتهاد والاستحسان، بل الواجب الوقوف عند ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله محمد .

قال الإمام أحمد في هذا الصدد: "لا يتجاوز الكتاب والسنة"، إذ لا يصف الله أعلم بالله من الله، ولا يصفه في خلقه أعلم من رسوله . ولا يقال في صفاته: هي مجاز بل صفاته كلها حقيقة على ما يليق بالله سبحانه، كما أن صفات خلقه حقيقة، حقيقة تناسب حالهم وضعفهم وحدوثهم. فليست الحقيقة كالحقيقة كما هو الشأن في الذات، لأن ذات الله حقيقة، حقيقة تليق به سبحانه، وذوات المخلوقات حقيقة أيضًا، والحقائق مختلفة هنا وهناك.

فليعلم ذلك لأنه مقام مهم، ومزلة أقدام زلّت فيها أقدام كثير من علماء الكلام، والله المستعان.

فإيماننا بصفات الله تعالى على وفق إيماننا بذاته تعالى، وهو إيمان إثبات وتسليم لا تكييف فيه ولا تشبيه، وبالتالي لا تحريف فيه ولا تعطيل، بل إيماننا بالله وبصفاته في ضوء قوله تعالى: { ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ} [الشورى: 11]، وقوله تعالى: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﭖ ﭗ ﭘﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭝﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ} [الإخلاص]، وقوله: {ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ} [مريم: 65]، وما في هذا المعنى من نصوص الكتاب والسنة التي تدل على التنـزيه الكامل مع إثبات الصفات إثباتًا لا يصل إلى التشبيه والتجسيم.

وهذه النصوص تتفق مع الأدلة العقلية التي تدعو إلى الإيمان بجميع كمالات الرب تعالى بالجملة، كمال الذات، وكمال الصفات، وكمال الأفعال.

ولا فرق فيما ذكرنا عند السلف بين صفات الذات كالقدرة والإرادة، والعلم مثلًا، وبين صفات الأفعال كالاستواء والنـزول والمجيء لأنها كلها جاءت بها نصوص الكتاب والسنة، والعقل السليم لا يرفض ذلك، بل يبادر إلى قبوله.

فمن غير الجائز إذًا التفريق بين ما جمع الله في كتابه، أو فيما أوحى به إلى رسوله .

وتحدث القرآن عن الذات الإلهية في عديد من الآيات "دون تصريح بلفظ الذات" وكثيرًا ما يصدر الحديث باسم "الله" فالله علم على الذات العلية مثل:

- قوله تعالى: {ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ} [البقرة: 255].

- وقوله تعالى: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ} [النساء: 87].

- وقوله تعالى: {ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭜ ﭝ} [آل عمران: 2، 3]. وقوله تعالى: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ} [البقرة: 257].

- وقوله تعالى: {ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ} [إبراهيم: 2].

- وقوله تعالى: {ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ} [طه: 8].

- وقوله تعالى: {ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ} [النمل: 26].

- وقوله تعالى: {ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ} [الصافات: 126].

- وقوله تعالى: {ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ} [الزُّمَر: 23].

- وقوه تعالى: {ﭷ ﭸﭹ ﭺ ﭻﭼ ﭽ ﭾﭿ ﮀ} [الرحمن: 1-4].

فالله والرحمن وغيرهما من أسماء الله إنما هي أعلام دالة على ذات الله تعالى، وهي مع كونها أعلامًا دالة على الذات، وهي أيضًا أوصاف كمال.

وآيات أخرى كثيرة، هذا، وليس بين المؤمنين بالله وبكتابه وبرسوله ، وما جاء به من الهدى خلاف في أن مقام الإلهية فوق كل مقام. وأن ذاته سبحانه فوق كل الذوات، وأن له سبحانه الكمال المطلق في ذاته وصفاته.

ثم إنه من غير الجائز عقلًا وشرعًا محاولة إدراك حقيقة ذاته، وصفاته بل العجز عن الإدراك هو الإدراك كما يحكى ذلك عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه.

هذا... وذات الله -مع أنها فوق أن تدرك، وفوق أن تحد- قد وصفت في القرآن بصفات كثيرة، كالإرادة والعلم، والقدرة وغيرها، وهي صفات كمال الكمال المطلق، ومع هذا فلا بد أن تضاف هذه الصفات إلى "ذات" كما تضاف مثل هذه الصفات وغيرها إلى ذاتنا مع الفارق البعيد بين كمالها في ذات الإله، ونقصها في ذات الإنسان.!!

وقد جاء في القرآن الكريم كثير من الآيات التي تضيف إلى الله صفات فعل تدل على الإيجاد كقوله تعالى في أول ما نزل من الكتاب: {ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿﮀﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ} [العلق: 1-5].

ففي الآيات تعريف بذات الله، وأنها تخلق وتعلم، وكقوله تعالى: {ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ} [الرعد: 8، 9]، وقوله تعالى: {ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ} [الشورى: 19]، وقوله تعالى: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ} [المجادلة: 1]، فذات الإله ذات توصف بالسمع وتوصف بالرؤية وتوصف بالعزة والحكمة {ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ} [آل عمران: 5، 6]، وأكثر فواصل القرآن تنتهي غالبًا بصفة من صفات الله تعالى، أو بالمزاوجة بين صفتين من صفاته.

ومن النوع الأول:

قوله تعالى: {ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ} [الأحزاب: 54]، {ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ} [النساء: 126].

ومن النوع الثاني:

وهو الأعم الأغلب، قوله تعالى: {ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ} [الفرقان: 6]، وقوله: {ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ} [البقرة: 115].

هذا... وقد كان السلف من الصحابة والتابعين -رضوان الله عليهم- يتلون كتاب الله ويستمعون إلى آيات الكتاب وأحاديث الرسول ، فما وقفوا موقف تساؤل أو حيرة أمام صفة من صفات الله، ولا وقع في تفكيرهم أن "الذات" شيء وأن الصفات شيء، أو أنهما وجهان لحقيقة واحدة، أو غير هذا مما دار حوله الجدل واشتد فيه الخصام بين جماعات المسلمين بعد أن مضى عهد الراشدين ودخلت في الإسلام مذاهب وآراء وفلسفات، مع الذين دخلوا في دين الله من فرس وروم وبربر وهنود وغيرهم.

والإيمان بالله تعالى إنما يعني الإيمان بالذات العلية الواجبة الوجود، وجودًا حقيقيًّا. والإيمان بصفاته العلا وأسمائه الحسنى معًا. وعندما يقول المؤمن: آمنت بالله، إنما يعني هذا الإيمان الشامل أي الإيمان بذات لا تشبه الذوات متصفة بصفات الكمال التي لا تشبه صفات خلقه بل لصفاته حقائق ولصفات خلقه حقائق.

فانطلاقًا من هذا الإيمان الشامل فإن العلاقة بين الصفات والذات علاقة تلازم، ضرورة أن الإيمان بالذات يستلزم الإيمان بالصفات، وكذلك العكس على ما أشرنا في هذه المقدمة، لأنه لا يتصور وجود "ذات" مجردة في الخارج كما لا يتحقق وجود صفة من الصفات في الخارج ألا وهي قائمة بالذات. بيد أنه ليس بمستحيل بل من الممكن تصور "ذات" على حدة وتصور "صفة" على حدة، إلا أنه تصور ذهني فقط، كما تقدم في غير موضوع. وهذا ما عنيناه بالتلازم، وسبق أن تحدثنا عن هذه النقطة عند الكلام على مفهوم الذات، ولا بد من مبحث: هل الصفة غير الذات أو عين الذات؟ والجواب: هو عدم إطلاق لفظة "غير" إلا بعد التفصيل ونزيد هنا أن الصواب في مثل هذه النقطة عدم إطلاق ألفاظ مجملة محتملة لمعنيين: صحيح وباطل، ولا ينفصل النزاع ويتضح وجه الصواب إلا بالتفصيل، فالله تعالى واحد بأسمائه وصفاته، فأسماؤه وصفاته داخلة في مسمى اسمه "الله"، وإن كان لا يطلق علي الصفة أنها إله أو خالق أو رزاق. وليست صفاته وأسماؤه غيره، وليست هي نفس الإله بمعنى أن للذات مفهومًا وللصفات مفهومًا. هنا فقط تثبت المغايرة أي في إثبات معنى ومفهومٍ للصفات غير مفهوم الذات.

ويقول الإمام ابن القيم في هذه النقطة: "ويرى القوم في لفظة "الغير" أنه يراد بها معنيان: أحدهما المغايرة لتلك الذات المسماة بـ "الله" وكل ما غاير الله مغايرة محضة بهذا الاعتبار فلا يكون إلا مخلوقًا.

ويراد به -أي لفظ "الغير"- مغايرة الصفة للذات إذا خرجت عنها فإذا قيل: عِلْمُ الله وكلام الله غيره، بمعنى أنه غير الذات المجردة عن العلم والكلام كان المعنى صحيحًا، ولكن الإطلاق باطل، وإذا أريد أن العلم والكلام مغايران لحقيقته المختصة التي امتاز بها عن غيره كان باطلًا لفظًا ومعنى". اهـ.

لأن الحقيقة المختصة به تعالى التي لا يشاركه فيها أحد اتصافه بصفات الكمال: الكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه غيره من العلم الكامل المحيط بجميع المعلومات وبكلماته التامات التي لا نفاد لها، وبقدرته الكاملة التي لا يعجزها شيء، بل هو على كل شيء قدير. وإذا فهمت هذه النقطة فإن الإيمان الصحيح هو الإيمان برب متصف بصفاته وأسمائه حقيقةً واحدةً لا تتجزأ أي رب واحد بأسمائه وصفاته سبحانه، فالمغايرة غير واردة بهذا الاعتبار والله أعلم.

هذا هو المفهوم الصحيح الذي كان قد فهمه سلف هذه الأمة، وسلمُوا به من الخوض في بحث العلاقة بين الذات والصفات، إذ لم يحدث ما يدعو إلى ذلك.

بل القول المؤيد بالأدلة العقلية والنقلية: أن صفة الله تعالى داخلة في مسمى أسمائه، فمن استعاذ بصفة من صفات الله أو حلف لها فإنما استعاذ بالله، وحلف به تعالى. يشهد لهذا الاستعاذة التي علمها النبي  أمته وهي: ((أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر))، ومنه قوله : ((أعوذ برضاك من سخطك)).

فمن قال: عبدت الله أو دعوت الله أو حمدت الله أو قال: {ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ} [الفاتحة: 5]، فهذه الأسماء ظاهرها ومضمرها مشتملة على صفات الله ولا يخرج عنها شيء، مثل العلم والحلم والرحمة والكلام وسائر صفاته.

ويؤيد ما ذكرنا قوله : ((من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت))، وقال: ((من حلف بغير الله فقد أشرك)).

وقد ثبت عنه  أنه حلف بعزة الله ليدلنا أن ذلك ليس حلفًا بغير الله وإنما حلف بصفة من صفاته، وصفاته بهذا الاعتبار ليست غيره.

هكذا يتضح أنه لا ينبغي إطلاق المغايرة بين الصفات والذات، وأن صفات الله تعالى ملازمة لذاته تعالى ولا تنفك عنها، فمن آمن بالله فإنما آمن بالله سبحانه وبأسمائه وصفاته. ومن كفر بصفة واحدة من صفات الله فقد كفر بالله تعالى وبسائر صفاته، ولهذا أجمع أهل العلم من علماء أهل السنة دون خلاف نعلمه أن من قال: إن كلامه مخلوق أو قال: القرآن مخلوق أو أنكر رؤية الله يوم القيامة مثلًا فهو كافر.

**المراجع والمصادر:**

1. **تقي الدين أحمد عبد الحليم بن تيمية ، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب/ عبد الرحمن بن قاسم، المدينة المنورة، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف, عام 1416هـ.**
2. **علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق د/ عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، بيروت، الطبعة العاشرة مؤسسة الرسالة، 1417هـ.**
3. **محمد بن خليفة التميمي ، معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ، الرياض، مكتبة أضواء السلف الطبعة الأولى، 1419هـ.**
4. **محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ،الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، الرياض، دار العاصمة، 1998م.**
5. **محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، دار الكتب العلمية, 2003م.**
6. **هبة الله بن الحسن اللالكائي ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق ، أحمد سعد حمدان، الرياض، دار طيبة، 1982م.**
7. **محمد بن إسحاق بن خزيمة ، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، الرياض، دار الرشد للنشر والتوزيع،1987م.**
8. **محمد ناصر الدين الألباني ، مختصر العلو للعلي الغفار ، المكتب الإسلامي، 1980م.**
9. **محمد بن صالح بن عثيمين ، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تحقيق: أشرف عبد المقصود، القاهرة، مكتبة السنة، 1993م.**
10. **إبراهيم البريكان ، القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ، الدمام، دار ابن القيم، 2004م**
11. **عمر سليمان الأشقر ، الأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، 1992م.**
12. **أحمد عبد الرحمن القاضي ، مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات "عرض ونقد"، الرياض، دار العاصمة، 1995م.**
13. **عبد الرحيم السلمي ، حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، الرياض، دار المعلمة للنشر والتوزيع، 2000م.**